

في دمج الأدب العربي بمتن

"الأدب العالمي"

د. عبد النبي اصطيف*

يكتب روبن أوستل أستاذ الأدب العربي الحديث في جامعة أكسفورد شارحاً عدم بلوغ الأدب العربي مستوى الظاهرة ذات التأثير العالمي في بحثه المقدم إلى مؤتمر "الأدب العربي والعالمية" الذي انعقد في القاهرة عام 1999، ونظمه المجلس الأعلى للثقافة ونشر وقائعه في كتاب حمل العنوان نفسه:

"لسنا في حاجة، على مستوى القيمة الفنية والأدبية، إلى إهدار الوقت في مناقشة ما إذا كان الأدب العربي يمتلك أو لا يمتلك قيمة عالمية.

عملياً، أستطيع أن أقول إن الأدب العربي ليس بأي معنى من المعاني ظاهرة أدبية ذات تأثير عالمي على المستوى الفعلي.

لماذا أؤكد ذلك؟ ببساطة شديدة لأن الأدب العربي لم يدخل الحوار العام للنقد الأدبي على المستوى العالمي مثلما حدث، على سبيل المثال، مع أدب أمريكا اللاتينية⁽¹⁾ (التأكيد لصاحب هذه السطور)

من الواضح أنه يمتلك هذه القيمة، ومدرّسو الأدب العربي واللغة العربية في الجامعات الغربية هم من بين القلائل الذين يدركون هذه القيمة، على حد سواء، في فجر الأدب العربي في شعر ما قبل الإسلام، وعند عمالقة العصر الذهبي في الفترة العباسية، وصولاً إلى الأدباء الذين ساهموا في نهضة وتطوير الأدب العربي منذ القرن الماضي.

لقد درسناهم ودرّسناهم، ونحن نعرف قيمتهم العالمية، غير أن المشكلة هي في السؤال التالي: من غيرنا، خارج العالم العربي يعرف ذلك؟

* أديب سوري، جامعة دمشق.

قد يكون الجواب بسيطاً، غير أنه يشكل بالتأكيد تحدياً حقيقياً للأدباء والدارسين العرب، لأنه يتطلب جهوداً مخصصة مثابرة تُسهّل إدخاله بداية في متن الدراسات الحديثة في اللغات العالمية، ومن ثم تيسّر تبوّأه المكانة التي تليق به في دائرة الأدب العالمي.

ولكن كيف يمكن إدخال الأدب العربي قديمه وحديثه في متن الدراسات الأدبية والنقدية الحديثة؟ وكيف يمكن أن نفيد في ذلك من المناخات التي خلقتها النظرية ما بعد الاستعمارية من جهة، والازدهار الملحوظ للدراسات المعنية بالأدب العالمي من جهة أخرى، خاصة وأن تلك النظرية، مشفوعة بالتوسع في آفاق دراسة الأدب العالمي، باتت تلتفت إلى آداب الأطراف، والآداب المهمّشة، وآداب المنافي والهجرة، وآداب الجنوب الناطقة بغير لغاتها الأم؟

غير أن على المرء أن يذكر أن التوجه العام، الذي ينبغي أن ينظم ما يمكن أن يقوم به العرب في هذا المجال، هو أن يأخذوا بزمام المبادرة في دمج أدبهم بمتن الأدب العالمي، وأن يكون عملهم في هذا المضمار هو التيار الأساسي فيه، في حين تكون جهود الآخرين ممن يخدمون الأدب العربي من غير الناطقين بالعربية مجرد روافد تغني

ومعنى هذا أن الترجمة وحدها لا تكفي جواز سفر للدخول إلى عالم الأدب العالمي، فضلاً عن أنها لا تستند في اختياراتها لما تتم ترجمته إلى معايير فنية وأدبية فقط، وثمة عوامل أخرى تحفزها تتصل بواقع العلاقات الدولية، والتطورات التي تشهدها على المستويات السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، كما أن للإعلام دوراً متميّزاً في تعزيز انتشار الاهتمام ببعض الأعمال الأدبية المترجمة وغير المترجمة وتوسيع دائرة تلقيها من جانب القراء المختصين وغير المختصين ممن يهتمهم متابعة التطورات الأدبية العالمية، والاطلاع على آخر نتاجات الآداب الأخرى.

ومن ثمّ، فإن السؤال الملح الذي يطرح نفسه بقوة في هذا المقام هو:

ما الذي يمكننا، نحن العرب، أن نفعله لإدخال الأدب العربي، المؤهل، بالقوة والفضل، لهذا الدخول، في دائرة الأدب العالمي؟

سؤال يراود كل غيور على هذا الأدب، وبخاصة عندما يستحضر في ذهنه الأيام الخوالي لهذا الأدب في العصور الوسطى، وكيف أنه، في منجزه الأندلسي، كان وراء نشأة معظم الآداب الأوروبية الحديثة، وأنه أسهم في تشكيل العديد من أجناسها الأدبية.

الحكومية والأهلية إلى التنسيق، مع مؤسسات التعاون الثقافي والعلمي الدولية (اليونيسكو) والإقليمية (أليكسو) والوطنية الأجنبية (هيئات التعاون الثقافي الدولي في البلدان الأخرى)، للقيام بمشروعات مشتركة تسهم في تحقيق الهدف الاستراتيجي المنشود.

وعلى أي حال ينبغي الإفادة من الجهود القائمة على المستوى الفردي والجمعي داخل الوطن العربي وفي العالم في هذا المسعى النبيل.

ولعل من المفيد الإشارة في هذا السياق إلى مبادرة مهمة أثبتت جدواها في هذا المجال هي مبادرة الدكتور سلمي الخضراء الجيوسي، الشاعرة، والناقدة، والباحثة، والأستاذة الجامعية، والمحرة، والمترجمة التي أسست مشروع بروتا PROTA: مشروع لترجمة الأدب العربي Project for translation of Arabic Literature، الذي نشرت من خلاله أكثر من أربعين مجلداً من نصوص الأدب العربي القديمة والحديثة، ويسرّتها، من ثمّ، للدارسين في العالم لينظروا فيها ويقوموا بدراستها بوصفها جزءاً من متن آداب العالم، الذي أنتجته أمة عريقة، ذات أدب حيّ ومستمر وعريق في آن معاً.

هذا التيار، وتعرّز اندفاعته نحو مستقبل واعد. ومما يجب التنبّه له أيضاً أن يكون هذا العمل عملاً مؤسسياً تقوم به مؤسسة حكومية مستقلة في تمويلها وإدارتها، حتى تتجنب معيقات البيروقراطية والأهواء السياسية، ولتتمكن من أن تخطط للعمل، وتشرف على تنفيذه، وتتابع هذا التنفيذ متابعة حثيثة، تضمن ثماره الطيبة المرجوة.

ويمكن رفض هذه المؤسسة الرسمية الوطنية، بمديريات معنية بالهدف ذاته في وزارات الثقافة، والتربية، والتعليم العالي، والشؤون الخارجية، فضلاً عن مكاتب مختصة في اتحادات الكتاب والأدباء والصحفيين، والمنظمات الشعبية والنقابات المهنية، التي يمكن أن تسعى إلى استقطاب العاملين في نقل الأدب العربي إلى دائرة الأدب العالمي وتنظيم جهودهم والتنسيق فيما بينهم، وتشكيل فرق عمل تنفذ مشروعات محددة، تمويلها واحدة من هذه الوزارات أو الاتحادات أو المنظمات أو النقابات، منفردة، أو بالمشاركة مع نظيراتها الأخرى، تخدم الهدف الاستراتيجي للعمل القومي في هذا الميدان.

ويمكن بعدها أن تعمد هذه المؤسسة الرسمية الوطنية بروافدها

الرصينة التي ترشحها بحق لتكون سفيرة لهذا الأدب في الغرب فهي الشاعرة (ظهر ديوانها *العودة من النبع الحالم* عام 1960) والمترجمة، والناقدة، وصانعة المختارات، والباحثة، والأستاذة الجامعية، ومؤسسة مشروع بروتا (ومديرتة)، الذي صدر عنه أكثر من أربعين مجلداً جمعياً ولمؤلفين منفردين. وروجر ألن، خريج جامعة أكسفورد وتلميذ محمد مصطفى بدوي الأول، وأستاذ شرف كرسي الأدب العربي في جامعة بنسلفانيا في الولايات المتحدة، وصاحب المؤلفات والترجمات والإسهامات المتميزة المتصلة بالأدب العربي حديثه وقديمه، والتي غدا بعضها كتباً مقررة لطلاب الأدب العربي الحديث في الغرب.

• أن المقدم لهذه المختارات باحث مرموق، وحنة ثقة في تاريخ الأدب العربي الحديث، والمسرح منه على وجه الخصوص، اكتسب مكانته وشهرته من مؤلفاته العديدة بالإنكليزية التي صدرت عن كبريات دور النشر في العالم الأنكلو أمريكي، والحاصل على جائزة الملك فيصل في الترجمة؛ وهو أستاذ تدرب على يديه خيرة أساتذة الأدب العربي الحديث في العالم. إنه محمد مصطفى بدوي الذي انتقل إلى جوار ربه عام 2012م بعد أن قام بمهمة جليلة يقرُّ بها الجميع وهي إدخال الأدب

وحتى تكون هذه الإشارة مجدية في حفز الاهتمام بمسعى إدخال الأدب العربي في دائرة العالمية، فإني أود أن أشير إلى أنموذج متألق من ترجمات هذا المشروع انصرف إلى تقديم المسرحية العربية المعاصرة إلى قارئ الإنكليزية، التي يستعملها اليوم أكثر من ثلث سكان المعمورة، وهو: *المسرحية العربية الحديثة: مختارات (2)* التي صدرت عن مطبعة جامعة إنديانا عام 1995، بتحريير كل من سلمى الخضراء الجيوسي وروجر ألن، ومدخل بقلم الدكتور محمد مصطفى بدوي، ضمن مشروع بروتا.

والسؤال الذي يفرض نفسه في هذا المقام هو ما سر تألق هذا الأنموذج، وأين تكمن أهميته في إدخال المسرحية العربية الحديثة في متن الأدب العالمي، ومن ثم إتاحتها للدارسين والمخرجين، بتقديم مختارات من نصوصه تصلح للعرض مثلما تصلح للدرس المقارن بسبب لغتها المتميزة؟

يبدو للمرء أن ثمة عوامل تكمن وراء تألق هذه المختارات، ومنها:

• أن محرريها أستاذان متألقان من أساتذة الأدب العربي الحديث في الغرب، فسلمى الخضراء الجيوسي أستاذة حجة في الأدب العربي حديثه وقديمه، قدّمت الكثير من الأعمال

وأعدة بل عالمية من الأعمال المسرحية التي تصلح للعرض على مسارح العالم، مثلما تصلح للدرس المقارن.

• أنه عمل قائم في جانبه الترجمي على الشراكة التي نهض بها في كل نص مترجمان يتقنان كلتا اللغتين: العربية والإنكليزية، وخبيران بالثقافتين معاً، يقوم الأول منهما بترجمة دقيقة للنص العربي، في حين يتولى الثاني منهما صقل هذه الترجمة وتقديمها في حلة تُرغَّب في قراءتها، وتساعد على تقديمها على خشبة المسرح، دون أن تُلحق بالنص الأصلي أي ظلم، أو تحريف.

• أنه يستند إلى خبرة المحررين والمقدّم الواسعة في الأدب العربي الحديث من جهة، وإلى استشارات واسعة لعدد من كبار خبراء المسرح في الوطن العربي من أمثال غسان المالح مؤسس المعهد العالي للفنون المسرحية بدمشق وعميده السابق، وأستاذ المسرحية السابق في قسم اللغة الإنكليزية وآدابها في جامعة دمشق، وعلي عقلة عرسان رئيس اتحاد الكتاب العرب الأسبق، والمؤلف المسرحي السوري المعروف، والمخرج المسرحي المتألق والذي أخرج العديد من الروائع العالمية للمسرح القومي في سورية، والمنصف السويسي رجل المسرح

العربي الحديث في الدراسات العربية الحديثة في الغرب، حتى يمكن أن يعدّ بحق عميد الأدب العربي الحديث فيه.

• أنه يجمع ما بين جهود الداخلين من الباحثين والمترجمين العرب وبين جهود الخارجيين من غير العرب من دارسي الأدب العربي في الجامعات والمؤسسات الغربية.

• أنه ظفر بدعم مادي ومعنوي من جانب المؤسسات الأهلية العربية وعلى رأسها مؤسسة الباطين (عبد العزيز سعود الباطين)، والدكتورة سعاد الصباح التي تحملت نفقات ترجمة إحدى عشرة مسرحية، ونفقات إعدادها للنشر، فضلاً عن جواد حديد رئيس مؤسسة الصرافة العربية في عمان الذي نهض بنفقات ترجمة المسرحية الفلسطينية وإعدادها للنشر.

• أنه صادر عن دار نشر جامعية معروفة باهتمامها بالأدب العربي والثقافة العربية، وأنه قد نشر بطبعتين: طبعة مجلّدة للمكتبات، وأخرى ذات غلاف ورقي، أي طبعة شعبية ميسرة يسعها للدارسين والطلبة.

• أنه معني بالمسرحية العربية المعاصرة، ويقدم أدلة ملموسة على أن الأدب العربي الحديث أدب حيّ ومنفتح على التقاليد العالمية، وأنه نجح في تفاعله مع هذه التقاليد وقدم نماذج

بعدها تتالت الترجمات بدءاً بمسرحية *الزئبقت* (1968) لعصام محفوظ، بترجمة كل من شريف موسى وتوماس ج، إزي (عزي) (ص ص 21 - 53)، فمسرحية *حال الدنيا* (1948) لممدوح عدوان، بترجمة روبن أوصل (ص ص 55 - 76)، فمسرحية *الملك هو الملك* (1977) لسعد الله ونوس، بترجمة غسان المالح وتوماس ج. إزي (ص ص 77 - 120)، فمسرحية *الصراط* (1976) لوليد إخلاصي، بترجمة أوليف كيني وتوماس ج، إزي (ص ص 121 - 157)، فمسرحية عز الدين المدني *ديوان الزنج* (1974)، بترجمة نذير العظمة وريتشارد ديفيز (ص ص 159 - 185)، فمسرحية *فرقة بلالين الفلسطينية العتمة* (1972)، بترجمة عايدة باميه وتوماس ج إزي (ص ص 187 - 211)، فمسرحية عبد العزيز سريع *طار الديك* (1971) بترجمة سلوى جيشه وتوماس ج إزي (ص ص 213 - 252)، فمسرحية يوسف العاني *المفتاح* (1967 - 1968) بترجمة سلوى جيشه وألن براون جون (ص ص 253 - 288)، فمسرحية صلاح عبد الصبور *مسافر ليل* (1969) بترجمة محمد عناني وأنسلم هولو (ص ص 289 - 304)، فمسرحية ألفرد فرج *علي جناح التبريزي وتابعه قفة* (1968) بترجمة رشيد العناني وتشارلز دوريا (ص ص 305 - 351)، فمسرحية علي

المهم في تونس، وصالح الطعنة الأستاذ في جامعة إنديانا، والبيبلوغراف في الأول للأدب العربي في العالم الغربي.

وعلى أي حال فإن سرداً سريعاً لمحتويات هذا المجلد الذي تجاوزت صفحاته 426 صفحة من القطع الكبير، كفيل بتسويغ ما تقدم من إشارة إلى جوانب أهميته.

أما المقدمة فقد تولاهما كل من محرري المجلد، وقدّما فيها وصفاً لعملهما في هذه المختارات من اختيار للنصوص، واختيار مترجميها، وإعدادها للنشر، فضلاً عن اتصالاتهما واستشارتهما لأهل الخبرة في المسرح العربي الحديث.

وأما المدخل فقد عهد به إلى عميد الأدب العربي الحديث في الغرب محمد مصطفى بدوي الذي قدّم للمختارات بموجز عن نشأة المسرح العربي، وتطوره، وبخاصة في مصر، حيث أفرد عدة صفحات للحديث عن توفيق الحكيم، أتبعها بموجز عن إسهام كل من محمود تيمور وعلي أحمد باكثير، لينتقل بعدها إلى الحديث عن المسرحيين المصريين بعد الثورة، ثم عن المسرح في باقي أقطار الوطن العربي: سورية، ولبنان، وفلسطين، والعراق، وأقطار شمالي إفريقيا العربية، (ص 1 - 20).

الذين جمعوا بين معرفتهم للغتين: العربية والإنكليزية، والثقافتين العربية والغربية، وبين ممارساتهم الأدبية الرفيعة (إذ يمارس معظمهم الكتابة الإبداعية)، يرشح، للمعنيين بموقع الأدب العربي في العالم، أنموذجاً رفيعاً لعمل جماعي يمكن أن يُتخذ أمثلةً يقتدى بها من حيث المبدأ، ويمكن، من ثم، أن تُطوّر لتستجيب لمتطلبات عمل جليل نبيل يستهدف دمج الأدب العربي في متن الأدب العالمي.

وربما كان من أهم ما يلفت الناظر إلى هذا العمل هو قيامه على مبدأ عمل الفريق المنسجم الذي أدارته الدكتورة سلمى الخضراء الجيوسي بكفاءة وقدرة تأتيتان لها من خلال خبرتها البحثية (3) والتدريسية (4) في عدد من الجامعات العربية والأمريكية من جانب، وعملها الطويل في هذه المؤسسة/المشروع، الذي حققت من خلاله نجاحات كبرى في هذا الشأن من جانب آخر - هذا العمل الذي كانت لحمته الإخلاص وسداته الإقتان، بصرف النظر عما كان يتطلبه من وقت وجهد ومال. وهو ما ينبغي أن نحرص عليه في سعينا إلى دمج أدبنا العربي قديمه وحديثه في متن الأدب العالمي، وتيسيره للقارئ والباحث والناقد على حد سواء. ولا ننسى أن الأدب هو روح الأمة وخير ما يمثلها لدى "الآخرين".

سالم إنت ياللي قتلت الوحش (1970) بترجمة بيير كاكيا وديزمووند أوغريدي (ص ص 353- 386)، فمسرحة محمود دياب الغريباء لايشربون القهوة (1970) بترجمة أوين رايت وألن براون جون (ص ص 387- 405).

وقد تم تقديم كل مسرحية منها بمقدمة موجزة تيسر على قارئها تذوقها وإدراك دلالاتها. واختتمت المجلد بمسرد تعريفات موجزة بالمؤلفين من جهة (ص ص 407- 410)، والمترجمين من جهة أخرى (ص ص 410- 414)، والمحريين من جهة ثالثة (415- 416).

ولا ريب أن ما تقدم من عرض برقي لمحتويات هذا المجلد القيم، الذي يضم نصوص اثنتي عشرة مسرحية عربية حديثة ومعاصرة، نقلها فريق يضم عدداً من كبار أساتذة الأدب العربي من أمثال (شريف موسى وروبن أوصل وغسان المالح ونذير العظمة وعائدة باميه ومحمد عناني ورشيد العناني وأوين رايت وبيير كاكيا) في عدد من كبريات الجامعات العربية (دمشق والقاهرة وجامعة الملك سعود) والغربية (جامعات أكسفورد ولندن وإكسستر في بريطانيا، وجامعات بنسلفانيا وكولومبيا وفلوريدا وغيرها من جامعات الولايات المتحدة الأمريكية) من جهة، ويضم، من جهة أخرى، نخبة من المترجمين الأكفاء

الهوامش:

(1) انظر:

روبن أوستل، "وجهة نظر من الجامعة الغربية"، في: الأدب العربي والعالمية، (المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، د.ت.)، ص 133.

(2) انظر:

Edited by Salma Khadra Jayyusi and *Modern Arabic Dram: An Anthology*, Roger Allen (Indian University Press, Bloomington, 1995).

(3) قامت الدكتورة سلمى الخضراء الجيوسي بتحرير وتأليف عدد كبير من الكتب باللغة الإنكليزية تُرجم بعضها إلى العربية، ومنها:

The Anthologies:

- *Anthology of modern Arabic Poetry*, Columbia University Press, New York, 1987.
- *The Literature of Modern Arabia, an Anthology*, Kegan Paul International, London, 1988.
- *Modern Palestinian Literature, an Anthology*, Columbia University Press, New York, 1992.
- *Modern Arabic Drama, an Anthology*, Indiana University Press, Bloomington, 1993.
- *Arabic Short Plays*, Interlink Books, New York, 2003.
- *Modern Arabic Fiction, an Anthology*, in press, at Columbia University Press, New York, 2005.

Books on Arab/Islamic Civilization:

- *The Legacy of Muslim Spain*, Brill, Leiden, 1992.
- *Jerusalem in Ancient History and Tradition*, ed. by Thomas Thompson with the collaboration of Salma Khadra Jayyusi, London- New York, 2003.
- *My Jerusalem, Essays, Poems, Reminiscences*, in press, Interlink Books, 2004.
- *Human Rights in Arab Thought*, in press at I.B. Tauris, London & New York, 2004.
- The collection also includes about 13 single author translations form various Arab countries, mostly published in English by interlink Books, Vantage, & the University of Texas in the US, & Zed Books, Saqi Books, & Three Continents Press in the UK.

Books on Folklore:

- *The Adventures os Sayf Ibn Yazan, a folk romance*, done part translation, part retelling by Lena Jayyusi, Indiana University Press, 1995.
- *Abu Jameel's Daughter & Other Stories*, by Jamal Saleem Nuweihed, Interlink Books, 2002.

Other Publications in English:

- *Trends and Movements in Modern Arabic Poetry*, a 2 volume critical history published in 1977 by E.J. Brill. Its Arabic translation has appeared in Beirut in 1999.

(4) درّست الدكتورة سلمى الخضراء الجيوسي في عدد من الجامعات العربية والأمريكية، فضلاً عن إلقائها المحاضرات في مختلف أنحاء العالم، ومن الجامعات التي درست فيها: الخرطوم، والجزائر، وقسنطينة، ويوتا، وواشنطن، وتكساس، وميشيغان وغيرها